إنما إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فإن منشأه
الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه سبحانه لا يأمن مكر الله ولا يغتر به بمثل هذه الخيالات
ويعتبر بفرعون وقارون وبملوك الأرض عقيب احسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر
الله مكره بقوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
الآية وقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا
فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من التنعيم على
حب السيد بل ينبغي أن يحذر ذلك أن يكون مكرا منه مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه
فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فإذا من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ
هذا الغرور أنه استدل بنعيم الدنيا على أنه كريم عند المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان
ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى والشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما
يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور. **المثال الثالث**
غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم
الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين
وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحر عفوه ونحن
موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح
الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في التقوى والورع
والخوف وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع كانوا خائفين وهم مع غاية
الفجور آمنون وهذا نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا
أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة ونسي المغرور
أن نوحا عليه السلام أراد أن يحمل ابنه معه في السفينة فقال إن ابني من أهلي فقيل له إنه ليس
من أهلك إنه عمل غير صالح وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه وأن نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في زيارتها ولم يؤذن له في الاستغفار
فجلس يبكي على قبر أمه رحمة لها بسبب القرابة فهذا أيضا اغترار بالله وذلك لأن الله يحب المطيع

٦٦

ويبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي
بحبه للأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضا بل الحق
أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه فهو كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى
بشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن
ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه إلا على سبيل الشفاعة لمن لم
يشتد غضب الله عليه فأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فإن قلت
فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو مغفرته ورحمته فما هذا إلا كلام
صحيح مقبول في القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر
مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف
ذلك الغرور فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله لكن إبليس غير اسمه فسماه رجاء حتى خدع
به الجهلة وقد شرح الله الرجاء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
أولئك يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء بهم أليق وهذه الآية ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على
الأعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال إنما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى أن من
استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا
يخلف بل يزيد فجاء الأجير فكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجرة ويزعم أن
المستأجر كريم أفتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين
الرجاء وبين الغرة. قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات
تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو
في الآخرة ولدا وهو في الدنيا لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع لم ينزل فهو معتوه فكذلك
من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور
وكما أنه إذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا في أمر الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد
ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم حتى يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل صالحا وترك السيئات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)